محمد جلال كشك

النابالم الفكري

حقيقة كتاب

"تحطمت الطائرات عند الفجر"

الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر
بيروت

الطبعة الاولى

١٣٩ هـ – ١٩٧١ م



تقـــديم

فقرة خطيرة في اعترافات الفريق أول محمد فوزي، استرعت انتباهي ، هي تلك التي يقول فيها : إن الرئيس جمال عندما عـاد من روسيـا وعيّـن « علي صبري » في منصب مساعد الرئيس لشؤون القوات الجويـة ، حذّر محمد فوزي من « أن يتعمق علي صبري بالأمــور العسكرية وفي شئون القوات المسلحة » . وانه على أساس هذا التحذير – يقول محمد فوزي – كان يتجـنب الحـديث في الشئون العسكريـة مـع علي صبري .

هذه الفقرة الخطيرة لا أدري كيف مـرّت دون أن تثير

الانتباه ، فهل يا ترى كان حذر الرئيس جمــال عبد الناصر وشكوكه تدور في إطار التحوُّط من مؤامرة على النظام ، أم أن الشكوك كانت تساوره فيما هو أبعد وأخطر من ذلك ؟!..

سؤال لست أملك حق الإجابة عليه ، ولا أُريد أن أُطلق لأحاسيسي العنان ، أو أن أحولها الى حقائق مسلَّم بها .. أو حتى الى افتراضات مُعلنة .

وأذكر أنه عندما أعلن عن حادثة الحقائب التي اتهم فيها السيد علي صبري ، والوفد المرافق له بالتهرب من دفع الضرائب الجمركية على الطنافس التي عادوا بها من رحلة موسكو الى بلد في حالة حرب .. أذكر أنني كتبت ألمح الى الشكوك التي تســاورني وتساور الكثيرين ، الذين أدهشهم الصعود السريع والطموح المثير ، لابن ذلك المهاجر القادم من سالونيك منذ ثمانين عاماً أو أقل .. كتبت وقتها أقول بالحرف الواحد :

« إن الجماهير في مصر لديها أكثر من اتهــام ضد السيد علي صبري . وما من رجل أجمع الشعب على كراهيتــه والريبة في

أمره ، كما أجمع الشعب على كراهية علي صبري . وأنه منذ أن تولى السلطة في مصر عام ١٩٦١ وجميع الأمور تنتقل من سيىء الى أسوأ .. وأنه كان خلف كل الأزمات مع البلدان العربية . وقد تردد اسمه خلف كل حادث رشوة أو فساد ضُبطت في مصر ، وهو الذي شرّد رجال الرقابة الادارية ، وهم نخبة من الشباب اختيروا بأدقّ المعايير لمحاربة الفساد !.. ولكنهم كانوا من السذاجة الى حد تعقب أقرباء ومحاسيب السيد علي صبري ففُصِلوا وشُرّدوا رغم أنف كل الضمانات التي أُحيط بها تشكيل الرقابة الادارية .

« وهو الذي حوّل « الاتحاد الاشتراكي » الى منظمة بوليسية تتجسس على الشعب ، وأقام العديد من التنظيمات السرية ترتع فيها الجاسوسية ، وتنشر الاضطراب والقلق بين الجماهير .

« والشعب المصري يتطلع اليوم الى محاكمة شاملة .. نستطيع أن نؤكد أنها ستكشف ما هو أخطر من الفساد او الانحراف .

« ما نعرفه جميعاً ولكن لن نقوله في انتظار انتقال التحقيق من الحقائب التي تدخل مصر بما ثقل حمله .. الى الحقائب التي تخرج

بما خفّ حمله جداً .. وثمنه أفدح من أن يعوّض » .

(حرفياً من « الشعب والارض » يوليو .. تموز ١٩٧٠)

لماذا أعود لهذا الحديث اليوم ، ومـا الذي ذكـّرني به .. إن كان يمكن أن تُنسى مثل هذه القضايا ؟.

أعود اليه لأنني قرّرت إعادة نشر المقال الذي علقّت فيه على كتاب « تحطمت الطائرات عند الفجر » .

وعندما صدر هذا الكتاب في أواخر عام ١٩٧٠ .. وتتابع نشره ، بحسن نية من البعض ، الذين أرادوا ان تنتبـه كل دولة عربية الى « كوهينهـا » أو بمعنى اصح للفساد السياسي ، بل التعفن الخُلقـي ، الذي يتيح الفرصة لكل « كوهين » مندسّ ان يستثمره بما يفيد العدوّ المتربص .. وبينما اراد هذا البعض، بحسن نية ، تنبيه العرب الى تغلغل الجاسوسية اليهودية ، لم يجد الآخرون في الكتاب ، إلا وسيلة ربح مادي فاندفعوا في نشره وترويجه .. بل إنني اعرف ان الناشر الأول مـا ان سمع رأي

المخلصين فيه حتى توقف عن بيعه او إعادة طبعه..

وعندما بدأت قراءة هذا الكتاب ، كنت بالطبع تحت تأثير موقف الرفض من الأوضاع القائمة في بلدي، وكان المفترض ان اتجاوب معه ، فهو يتهم المسئولين عن الأمن والجيش والطيران ، فترة ما قبل النكسة بالغفلة والإهمال . والتفريط الذي يصل الى حد الخيانة الصريحة .

ولا شك اننا جميعاً كنا – ولا نزال – عند هذا الظن ، فما من أمة مثل أمتنا تُهزم مثل هزيمتنا ، إلا إذا كانت قيادتها بمثل هذا القدر من الإفراط والتفريط .. وذلك ما اكدته محاكمات مراكز القوى سواء في عام ١٩٦٧ او في عام ١٩٧١ ..

وإذا كنا الآن نحسُّ بالأمل من جديد، لأن حركة التطهير التي يقودها الرئيس محمد انور السادات، تستأصل مراكز الفساد، وبؤر الافساد .. فإنني لم اكن أحسّ بهذا التفاؤل ولا استشعره في أواخر ١٩٧٠ عندما بدأت قراءة كتاب «تحطمت الطائرات عند الفجر » وما ان مضيت فيه، حتى غلبني الانفعال ، ولم اتم قبل ان اخطط فيه ، وأعلق على هامشه ، وأثبت في صفحاته

العديد من الأوراق بملاحظاتي وردودي وتعليقاتي . وقررت أن أرد . وبدأت التحدث مع اصدقائي عنه ، مبدياً اشمئزازي من الكتاب وسخريتي من اكاذيبه ..

كان انفعالي اشد ، هذه المرة ، منه عندما قرأت كتاب « ايللي كوهين » وقررت الرد عليه وتوضيح اهدافه في كتابي « ايللي كوهين .. من جديد » كان انفعالي هذه المرة أشد ، لأن كتاب « ايللي كوهين » او بالأحرى كتب « ايللي كوهين » كانت تعالج قضية هذا الجاسوس الشهير بذكاء وبراعة ادق.. اما كتاب «تحطمت الطائرات عند الفجر» فقد احسست انه لطمة موجهة لذكائي ، وذكاء كل عربي ، هو صفعة موجهة لكرامتي كعربي ، وكمصري .. هو طعنة موجهة للإيمان العربي ، ولدور ومكانة مصر .. مصر الوطن .. مصر الشعب .. مصر الأمل والثقة ..

وقررت ان افضحه وأكشف أخطاءه وألقي الضوء على أهداف المخابرات الاسرائيلية التي نشرته. ولكن اين ؟! والجميع انتابتهم حمى المدمن اعطوه جرعة هيروين مضاعفة ، الجميع يقرأون بتلذذ الأجرب يهرشون له جربه !

فكرت ان أصدر عدداً خاصاً من « الشعب والارض » .

ولكني روّعت بانتشار الكتاب، وتعدد طبعاته وتسابق القراء العرب خارج وداخـل مصر على اقتناء نسخه ، بل وتواصيهـم لبعضهم البعض من اجل الحصول على نسخة .. وادركت وقتها انه مهما يكن اعتزازي « بالشعب والارض » فلا يمكن ان يفيد مقال فيها في مواجهة الانتشار الوبائي للكتاب الذي بدأت عدة مجلات وصحف في نشره مسلسلاً وصدرت تعليقات لعدة صحف تشير اليه وتقتبس منه .

ولكن النية الصالحة تجد دائماً سبيلها الى التنفيذ .. وكما كان يقول ابي « من امسك باباً يسّر الله له مفتاحه » ..

وكانت صدفة ، ولقاء في أرض طاهرة ، مع صحفي كبير .. وسألني الصحفي الكبير وعلى وجهه مرارة وألم؟

« هل قرأت كتاب تحطمت الطائرات ؟!»

قلت : نعم ..

قال : وما رأيك فيه ؟.. وقبل ان افتح فمي كان يقول :

هذا كتاب كاذب ! احساسي انه كاذب .. هذا تشويه لمصر وليس للذين صنعوا هزيمة مصر ..

كنت اعرف انـه يحب مصر ، وانه كان يومـاً من اقوى المدافعين عن نظام مصر.. وانه كان اول من غلب حبه لمصر على حبه للنظام فيها .. وانه وإن اعـاد النظر في كل شيء .. فان حبه لمصر وإيمانه بشعب مصر قد ازدادا رسوخاً ويقيناً..

قلت : انني اوافقك حرفياً .. وعندي ادلة كذب هـذا الكتاب .

قال : لماذا لا تكتب لنا مقالاً عنه ؟!.

والصحفي الكبـير يملك اوسع المجلات العربيـة انتشاراً في العالم العربي .. وأكثرها ثقة عند القارىء العربي الذي تزعزعت ثقته في كل ما يُكتب ..

واعتبرت هـذه الدعوة امراً من خارج عالمنا المحسوس والمدروس ..

وكتبت المقال ، فضحت فيه مخطط المخابرات الصهيونية .. وكشفت فيه الحملة المسمومة التي يوجهها الكتاب ضد العرب والمصريين.

ولأن اسمي كان ممنوعاً في مصر – وقتها – فاني لم اوقعه ،

بل ذيل بالتوقيع الرمزي الذي عرفت به المجلة .

وفوجىء الجميع بأن المجلة صودرت في مصر .. كان ذلك في ١٢ شباط - فبراير ١٩٧١ . كان محمد فائق وزيراً للإرشاد وهو صهر « علي صبري » وكان « علي صبري » ومجموعته يسيطرون على مقاليد الأمور ..

ودهش الكثيرون ، فالكتاب هجوم على مصر نظاماً وشعباً وجيشاً ، والكتاب منتشر بين المصريين خارج وداخل مصر ، كما قلنا ، فكيف يمنع المسئولون في مصر ، مقالاً يفند الكتاب ويكشف زيفه ويفضح هدفه ، ويعزز ثقة المصريين بوطنهم وقدراتهم ؟!

بل إن رسائل القراء التي انهالت على المجلة وكلها تفيض بالشكر والثناء لكشف حقيقة الكتاب ، والتصدي للمخطط الصهيوني ، وبعضها انتقدنا لأننا تأخرنا في نشر مثل هذه المعلومات « القيمة » حتى انتشر الكتاب بين الكثيرين ، وترك سمومه، وبعضهم أسف لأنه ليس متأكداً من ان كل الذين قرأوا الكتاب ستتاح لهم فرصة قراءة المقال !..

ولكنهم صادروه في مصر !..

مجموعة «علي صبري» صادرته ، لكي تمنع المصريين من قراءة أدلة تزوير الكتاب وتزييفه ..

لماذا ؟!

انا شخصياً لم ادهش ...

فالمجموعة التي سقطت في مايو ١٩٧١ والتي تعتبر شريكة وامتداداً عضوياً للمجموعة التي سقطت في سبتمبر ١٩٦٧ .. لم يكن من مصلحتها ابداً ان يستعيد الشعب ثقته في نفسه .. ذلك هو الجواب الذي كنت أجيب به على اسئلة زملائي اللبنانيين في المجلة ؟!.. الذين أدهشهم وأزعجهم بالطبع ان تصادر المجلة ، وأن يكون اول مقال لزميلهم الجديد سبباً في هذه المصادرة . وأشهد ان صاحب المجلة لم ينزعج قط بسبب الخسارة المادية التي تسببها مثل هذه المصادرة ، بل كان سعيداً لأن مجلته تمكنت من الدفاع عن مصر التي يحبها ويؤمن بها .

هكذا كنت أجيب زملائي .. ولكن بيني وبين نفسي رحت

أبحث عن جواب اعمق ... لقد لاحظت مثلاً ان الكتاب الذي يركز على تشويه سمعة بعض الأشخاص سواء بنسبة الانحلال او الغفلة او الاثنين معاً لهؤلاء الأشخاص ، او بمدحهم بما يعرف في عالم المخابرات باسم الدعاية السوداء ، اي مدحهم من مصادر مشبوهة لكي يصيبهم بهذا المدح شبهة. لاحظت انه تجنّب الإشارة من قريب او بعيد لشخصيات بعينها ، كانت تلعب دوراً رئيسياً في مصر خلال الفترة التي دارت فيها أحداث الكتاب .. وأهم من ذلك انها كانت تتربع على مركز السلطة عند نشر الكتاب، ويبدو من ظواهر الأمور – وقتها – انها ستبقى هناك طويلاً.. والمعروف في مثل هذه الكتب التي تصدر ضمن مخطط للمخابرات وبإشرافها .. انها في ذكرها لأسماء الشخصيات العامة في البلد الموجه ضده الكتاب تصنفهم ثلاثة اقسام :

١ – الفريق الأول هم المسئولون الذين لهم اتصال بأحداث الكتاب ، ولكنهم سقطوا من مراكز السلطة ، سواء لأن أجهزة الأمن في هذا البلد قد اكتشفت خيانتهم ، أو غفلتهم ، أو لأن تورطهم في أحداث الكتاب قد أدّى الى عزلهم ، أو بسبب تطورات سياسية داخل

هذا البلد وأصبح من المستبعد تماماً أن يلعبوا دوراً جديداً في تقرير مصير الأحداث . وقد يكون بين هؤلاء بعض الجواسيس ، ولكنهم افتضحوا ولم يعد من الممكن الاستفادة منهم مستقبلاً .

بالنسبة لهذا الفريق ، من الجواسيس ، أو المغفلين أو الفاسدين الذين نفذت المخابرات الاسرائيلية إليهم عبر انحلالهم فإن الكتاب لا يتردد في كشف جانب من الحقائق التي تتعلق بهؤلاء الأشخاص ، هذه الحقائق التي « يتطوع » الكتاب بإعلانها ، تعزّز ثقة القارىء في صحة معلومات الكتاب ، وصدقه .. وتسهل بذلك ترويج أو تسريب الأكاذيب والإيحاءات التي تشكل الهدف الرئيسي من إصدار مثل هذه الكتب .

ومن هذا النوع الاعتراف ببعض اتصالات « ايللي كوهين » بالتقسيط، وفي طبعات متتالية من هذا السيل من الكتب التي تنشر عن هذا الجاسوس، وكلما سقط أحد المسئولين وخرج نهائياً من لعبة النفوذ والسلطة ، تعترف

الطبعة الجديدة ، بمستوى أخطر من تعاون هذا المسئول الذي ابتعد عن السلطة ، مع الجاسوس الاسرائيلي .. ويكفي أن نتابع ما نشر عن صلة « سليم حاطوم » بإيللي كوهين في الطبعات المتعددة التي صدرت عن « ايللي كوهين » منذ إعدامه الى إعدام « سليم حاطوم ».. بل إننا نلاحظ في هذه الكتب ان بعضها في البداية كشف عمق صلات بعض المتنفذين بالجاسوس ، على أساس ان هؤلاء المتنفذين كانوا قد سقطوا وخرجوا نهائياً من لعبة السلطة . ولكن أحداث المنطقة العربية التي تفسد كل الحسابات الاليكترونية ، عادت فقربت هذه الشخصيات من مركز السلطة في مكان ما .. فإذا بطبعات جديدة تصدر عن « رجلنا في دمشق » تنفي ما سبق ان ذكرته المؤلفات الصهيونية ذاتها عن صلة هؤلاء الذين عادوا إلى الواجهة !

وفي كتاب « تحطمت الطائرات » نجد أمثلة لذلك الأسلوب ، في الحديث عن استغفال رجل المخابرات الاسرائيلية لصدقي محمود ، وغيره من رجالات ما قبل هزيمة عام ١٩٦٧ .. الذين سقطوا فعلاً ، والذين حملوا وزر

هزيمة ، تجعل القارىء العربي على استعداد لتصديق أي شيء ضدهم .

٢ – الفريق الثاني ، هم المسئولون الذين ما زالوا في مركز المسئولية ، أو تشير الدلائل الى احتمال وصولهم اليه مستقبلاً ، وتعتبرهم المخابرات الاسرائيلية ، خطراً على مخططاتها ، سواء بطبيعة مواقفهم ، أو بحكم تفكيرهم وسلوكهم ، أو لمجرد منافستهم للعناصر التي يرى مخططو السياسة الاسرائيلية انها تخدم مصالحهم – بوعي أو بدون وعي – .

بالنسبة لهذه العناصر ، تعمد هذه الكتب الى الدس ضدها بأحد أسلوبين : إما بزج اسمها مع الفريق الأول الملوث بالخيانة أو الغفلة .. أو بمدحها ، ولكن بأسلوب الدعاية السوداء الذي وصفه « مايلز كوبلند » رجل المخابرات الامريكية ، وهو المدح المشبوه الذي يترك أثراً عكسياً في نفسية مواطنيهم ..

● الفريق الثالث .. هم المسئولون الذين يرى المخططون

الاسرائيليون ، ان وجودهم وتعزز نفوذهم ، يخدم الاستراتيجية الاسرائيلية . ولا يعني هذا انهم جواسيس بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة ، بل لأسلوب عملهم ، لانحرافاتهم الشخصية ، لطموحهم المغامر ، لجهلهم .. لحمايتهم لعناصر سيئة ، لشتى الاعتبارات والعوامل التي تجعل الاستراتيجية الاسرائيلية تهتم باستمرار وجودهم في مراكز السلطة . بالنسبة لهذا الفريق من المسئولين ، تستخدم هذه الكتب كل البراعة في الترويج لهم ، وتعزيز ثقة مواطنيهم بهم . وبشكل عام تتجنب مثل هذه الكتب التركيز على هذا الفريق . واذا ذكرت اسماؤهم فبطريقة توحي بفقر مطلق في المعلومات عنهم ! ويأتي ذلك عرضاً ، وفي طيات خبر يهدف الى إلقاء بذرة الإعجاب بهذه الشخصيات في ذهن القارىء !

هذا الحديث أعادني اليه قراري بنشر المقال كما قلت ، وتذكرت وأنا أعيد نشره ان الكتاب لم يشر الى السيد «علي صبري » إلا مرتين : مرة في قائمة الذين ركبوا طائرة الرئيس المتوجهة الى سيناء .. ومرة ثانية وهو يشير الى تقرير قدمه الجاسوس الاسرائيلي الى المخابرات الاسرائيلية يقول فيه : ان

علي صبري ومحمود فوزي (الذي يخطىء في اسمه مرتين رغم أنه كان يشغل منصب وزيرالحربية المصرية وقت تأليف الكتاب) يقودان جناحاً لمقاومة مجموعة « عبد الحكيم عامر » ولا يفوته أن يضع « عبد المنعم رياض » ضمن هذه المجموعة التي يقودها « علي صبري » ضد المشير !

أما « محمود فوزي » يقصد « الفريق محمد فوزي » فقد ذكر مرة ضمن مجموعة علي صبري التي تحارب « عبد الحكيم عامر » ومرة لأنه أرسل جنوده لفض الحفلة الساهرة التي أقامها سلاح الطيران ليلة المعركة !

ومن المدهش حقاً أن مثل هذا الجاسوس الذي اعتمد في نجاح مخططه — على حد زعمه — على التغلغل في أوساط كبار المسئولين في الفترة من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٧ .. من المدهش أنه لم يقابل « علي صبري » ولا مرة واحدة !.. وانه لم يتصل به من قريب أو بعيد ، ولا وقعت له حادثة واحدة ذات صلة به تستحق ان يذكرها في الكتاب ، و « علي صبري » كان في هذه الفترة أحد المسئولين البارزين جداً .. ان لم نذهب الى القول بأنه كان المسئول الحقيقي من بين معاوني الرئيس عبد الناصر ..

على أية حال ، لقد عدت اقرأ الكتاب من جديد أحاول أن

أستشف أكثر ماذا يريد ان يوحي لنا سلباً وإيجاباً ..

ولكني لم أشأ ان أغـيّـر في المقال الذي نشر منذ شهور .. والذي يفضح هدف الكتاب ، وينبّـه القارىء العربي الى ما فيه من سموم .. لعل القراء يكتشفون أكثر مما اكتشفت وينبهون لأخطر مما نبهت إليه ..

جلال كشك

نوفمبر ١٩٧١

نصّ المقال

الذي صادره محمّد فائق

وزير الارشاد وصهر علي صبري

النابالم الفكري

أخطر ما في النابالم هو التشويـــه الذي يتركه في ضحيته . فكل الأسلحة تقتل إذا اصابت . وتشفى آثارها إن اخطأت المقتل . إلا النابالم فهو يلتصق بضحيته . ومن ينجـو من موته لا يسلم من التشويهات وأحياناً يصبح الموت نعمة إذا ما قـــورن بالعذاب الذي تسببه التشويهات ...

والنابالم الفكري الذي تستخدمه إسرائيل اليوم ضد العقل العربي ، والمعنويات العربية ، يهدف اساساً الى تشويه النفسية العربية ...

وهو كأي هجـوم عسكري ، يـتم وفقاً لخطة ذكيـة ، ومدروسة ، قائمة على فهم دقيق لنفسية العرب في هذه المرحلة ، والعوامل التي تتحكـّم في هذه النفسية بعد أحداث الخامس من حزيران – يونيو – ١٩٦٧ ...

فالعقل العربي يعيش الآن أزمة شك ، يواجه حقيقة ما وقع في يوم الاثنين المشؤوم ٥ يونيو .. ويفترسه الشك في طبيعة هذا الذي حدث ... والقلق من احتمالات تكرره ... والأمل في إمكانية تفاديه ... ولأنه لا يعرف لماذا ولا كيف وقع ما وقع ... فهو لا يعرف كيف يمكن تفاديه .

والمخطط الفكري الاسرائيلي يهدف الى إقناع المواطن العربي باستحالة مقاومة « السوبرمان اليهودي » فهو متفوق تكنولوجياً . منتشر في كل مكان في قلب الوطن العربي ، اكثر ولاء ووطنية ، عبقري في الجاسوسية بل حتى متفوق جنسياً على العرب (رغم كل ادعاءات العرب في هذا الميدان !) ...

فالمخابرات الاسرائيلية في كل مكان ، وهي تعلم كل شيء ، ومن العبث مقاومتها . نفس اللعبة التي مارستها الامبراطورية البريطانية قبل أن تغيب عنها الشمس ، فعندما وقع انقلاب العراق الأول (تموز ١٩٥٨) وثبت ان المخابرات البريطانية كانت زوج النظام فعلاً ... أي آخر من يعلم ... علّق مسؤول بريطاني بأن شهرة المخابرات البريطانية كانت أكذوبة ، ولكنها أيضاً كانت عاملاً مهماً من عوامل نجاحها ، فقد رسخ في ذهن

الكثيرين ان المخابرات البريطانية تعلم كل شيء ، ومن ثمّ فمقاومتها عبث وانتحار ... بل كان البعض يبادر الى تبليغها ، فما دامت تعرف أو حتماً ستعرف فالعاقل هو من يسبق بتسجيل الموقف !.

قنابل من ورق

والمخطط الاسرائيلي يعتمد على غمر السوق العربية بمؤلفات عن « جيمس بوند » الاسرائيلي: « رجلنا في دمشق » « عين تل ابيب » « تل ابيب – باريس » « الجاسوس القادم من اسرائيل » « لعبة البوكر بين تل ابيب والقاهرة » « تحطمت الطائرات عند الفجر » ...

والكتاب الأخير « تحطمت الطائرات عند الفجر » هو أخطرها لأنه النموذج الكامل لهذا المخطط الاسرائيلي ... وظواهر الأمور تشير الى نجاحه حتى الآن ، فقد طبع باللغة العربية في لبنان وحده ثلاث طبعات وتنافست ثلاث دور نشر في ادّعاء ترجمته ... وهو غير صحيح ، فالترجمة تمّت داخل

اسرائيل ، وسلمت الى عناصر حسنة النية في الأردن (والطريق الى جهنم مرصوف بالنوايا الحسنة !) باعتبـاره وثيقة خطيرة تكشف أسرار المخابرات الاسرائيلية ! مع إشاعة بأن الكتاب قد صودر في اسرائيل لأنه أفشى اسراراً غير مسموح بإفشائها !

ونشر الكتاب مسلسلاً في أكثر من صحيفة عربية ، وتتقبله هي وقراؤها كحقيقة لا تحتمل الشك ...

والكتاب يرتكز على حقيقتين في انجاح مخططه :

- الحقيقة الأولى هي ما جرى في الخامس من يونيو ...
- والحقيقة الثانية هي ان العرب لا يقرأون ، واذا قرأوا فقراءة خاطفة ، وان الإثارة تلهيهم عن التحليل ...

ولنبدأ بالحقيقة الثانية ...

الذين نشروا الكتاب وعلّقوا عليه ، أثبتوا فعـلاً أنهم لا يقرأون ... فمقدمة ناشر إحدى الطبعات تقول : « ويوضح الكتاب وجود عملاء من العرب من الشخصيات البارزة ، كما

سنرى في سياق الترجمة عن (الرجل ذي البدلة السوداء) الذي يقدم معلومات خطيرة ودقيقة عن الجبهات العربية » !

ونتأكد من هذه الفقرة ان الناشر العربي لم يقرأ الكتاب !.. لأن « الرجل ذا البدلة السوداء » هو نفسه بطل الكتاب او الرواية « آرام انوير » اليهودي.. وليس جاسوساً عربياً، وهو لم يدّخر جهداً في التعريف بنفسه منذ ان كان طالباً في المدرسة الزراعية ثم التحق بمسكر الكتائب المغاوير ! الى ان ركب الطائرة صباح الخامس من حزيران مغادراً القاهرة بعد ان انهى مهمته على حدّ زعمه ..

وفي المقدمة التي كتبها « تونسي » ، يقول :

« قصة الجاسوس الذي استطاع ان يخدع دولتين عربيتين (الجزائر ومصر) طوال عشر سنوات كاملة انتهت فجر يوم العدوان الخامس من جوان (حزيران) ١٩٦٧ حين استطاع باروخ ان يتسلل من القاهرة عائداً الى تركيا ومنها الى إسرائيل ... »

● أولاً : لم تكن هناك « دولة » الجزائر طوال عشر

سنوات كاملة انتهت فجر يوم العدوان !

- ثانياً : ليس في الكتاب كله ما يشير الى أن الجاسوس الاسرائيلي قد خدع دولة الجزائر ، وكل ما ورد عن الجزائر هو ان المخابرات الاسرائيلية عندما ارادت تأكيد ثقة المصريين في الجاسوس، تعمدت المخابرات الاسرائيلية ان تسرب خبراً الى المخابرات الفرنسية عن محاولته بيع صفقة سلاح للثوار الجزائريين (١٩٥٦) .. وبذلك تقرر طرده من فرنسا، فوثق المصريون فيه ... فأين خداع الجزائر عشر سنوات ؟! ...

اما مقدمة الطبعة الثانية للكتاب التي اصدرتها دار نشر أخرى منافسة ، فقد اكتشفت – أخيراً – أن « باروخ نادل » هذا ليس الجاسوس بل صحفي اسرائيلي مؤلف قصة الجاسوس !

آرام «أنوير» !

والحكاية باختصار شديـــد أن المخابرات الاسرائيليـة قرّرت زرع جاسوس في سلاح الطيران المصري منذ عام ١٩٥٤ فقامت باغتيال تاجر تركي، وتقمص الجاسوس الاسرائيلي شخصية القتيل ، وتعرّف بالمصريين في باريس من خلال عقده صفقات سلاح لحساب مصر ، وباستخدام الجنس والخمر استطاع ان يصل الى قلب سلاح الطيران المصري من خـلال صلات صداقـة مع قادته ، ثم تولى في النهاية تنظيم الحفلة الراقصة ليـلة الخامس من حزيران ، فكان انهاك الطيارين الى جانب المعلومـات الدقيقة والمفصلة التي زوّد بها المخابرات الاسرائيلية طوال عشر سنوات هي العامل الحاسم في القضاء الشامل والخاطف على سلاحنا الجوي صباح ٥ يونيو ...

والقصة تدور كلها حول نجـاح هـذا الجاسوس في الإقامـة

بمصر أكثر من عشر سنوات ، والتغلغل في الحياة المصرية الى حد ان القيادة العسكرية كانت تعتبره واحداً منها ، حتى انه كان في طائرة القيادة التي ذهبت الى سيناء الاسبوع السابق على العدوان الاسرائيلي، بل وتلقى تكليفاً مصرياً بالتفتيش على سلاح الطيران المصري وإعداد تقرير عنه الى أعلى المراجع المصرية !.

ورغم هذا الادعاء ففي الكتاب اخطاء تشكك حتى في احتمال دخول المؤلف لمصر اصلاً ... وتؤكد ان المخابرات الاسرائيلية التي نشرت الكتاب لا تتميز بهذه الدقة الاسطورية التي تروج عنها ...

وأول ما نلاحظه هو اسم البطل نفسه المفروض انه اسم تركي ، فالمترجم (الذي نصر على انه غير عربي) كتبه « انوير » ... وتكرر كذلك في الكتاب كله ، وفي العربية يكتب أنور بدون ياء ... وعندما يخطىء عن جهل أو قصد في اسم « عصام الدين خليل » المقبوض عليه حالياً ويحقق معه في مصر بعد فرار سكرتيرته وزوجته اليهودية ... فيسميه « محمود الدين خليل » يتأكد لنا ان المترجم غيرعربي وإلا لعرف أننا فيمصر لا نسمي

« محمود الدين » (ص ١٩٢) ... ولا نقول : « طوز فاشـــل لله ! » .

وهو يخلط بين السد العالي ومشروع تعلية خزان اسوان ! ومعلوماته ان القاهرة بناها الفاتحون المسلمون من حجر الهرم الأبيض !... وعندما دخل مكتب صلاح نصر مدير المخابرات المصرية توقع ان يسمع « التحية المصرية : سعيدة » !

وسعيدة يقولهـــا المصريون عند الانصراف ... وحتى اذا قيلت عند اللقاء فيقولها الداخل للجالس وليس العكس ...

وهو يستعرض جلساته الأدبية والفكرية بترديد أسمـــاء يلتقطها نصف الأمي فيتحدث عن توفيق الحكيم وطه حسين .. ولكنه يفضح نفسه تماماً عندما يتحدث عن زوجة « محمد مندور العزيز » التي اكتشفت موهبة الشعر عندها ... ووجه الخطأ ان الدكتور « محمد مندور » لم يكن اسمه « محمد مندور العزيز » .. ولكن زوجته اسمها « ملك عبد العزيز » ... ولأن مؤلف الكتاب لم يدخل مصر ولا عاش بين أهلهـا فهو يظن ان اسم الزوجة يتبع اسم الزوج فاستنتج ان الدكتور منـــدور اسمه « محمد مندور العزيز » !.. وهو يترجم خزنة « قاصة » وهـو

لفظ غير شائع في البلدان العربية التي يزعم البعض ان الكتاب ترجم فيها ..

وهو يدّعي انه كان يسكن في « هليوبوليس » كما يسميها ويصر على ان هذه هي تسميتها الارستوقراطية ويستـــدل على وضاعة أصـــل راقصة مصريـــة من أنها ما زالت تسميها « مصر الجديدة » والعكس هو الصحيـح ..

على أية حال كانت له في هليوبوليس أو مصر الجديدة شرفة عجيبة من اختراع المخابرات الاسرائيلية ، فهي تطل على النيل (!) وترى فيضان النيل في شهر مايو (أيار) ! بينما لا يراه بقيـــة المصريين قبل أغسطس ! وهي ذاتهـا على بعد قليـل من قنـاة الاسماعيلية المؤدية الى بحيرة التمساح ! وهو جهل نادر بجغرافية القاهرة !.

وهو يكرر في اكثر من موضع ان السفارة الروسية كانت الى جانب بيته في مصر الجديدة ، والسفارة الروسية في الزمالك منذ أن اعترفت مصر بالاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية ...

وهو يفطر « بالحمص » في مصر ، والمصريون لا يفطرون بالحمص ولا يصنعونه في بيوتهم ... ويعتقد ان « طنطا » مدينة بناها جمال عبد الناصر ... وعمر طنطا أو « طندتا » لا يقل عن ستة قرون !.. ويخلط بين « نادي الضباط » و « نادي الجزيرة » .

أما مغامرة « جيمس بوند » الكتاب ، أو قصة الفتاة المسيحية (القبطية) التي دسّها عليه زكريا محي الدين والتي أقام معها علاقات جنسية عنيفة ربما كجزء من سيناريو فيلم منتظر.. وانتهت بنجاحها في اكتشاف أمره .. ثم مغامرة يظنها مثيرة ، جنسياً وعضلياً ، انتهت بنجاحه في تقييدها وقتلها ...

مغامرة غير مشوقة ويشكك فيها الخطأ باسم الفتاة فهو يسميها « صوفي ياسين » ... والأقباط لا يسمون « ياسين » ! فهو اسم إسلامي قح !

الحقيقة الأولى

والكتاب كما قلنا يعتمد على حقيقتين ... أن العرب لا يقرأون ... وهـذا واضح من الأخطاء التي لم يهتم بتصحيحها الناشرون اليهود ، ولا علـّق عليها الناشرون العرب ... أما الحقيقة الثانية فهي الانطلاق من حقيقة مقررة لنسج الاسطورة، فلا شك أن الطيران المصري قد ضُرب ضربة غـدر وخيانة صباح الخامس من يونيه وأن اهمالاً فاضحاً قد رسم نهايته في هذا اليوم .. وهناك واقعة لايمكن انكارها، وهي تنظيم حفلة ساهرة حضرتها الراقصة المصرية « سهير زكي » في قاعدة انشاص ليلة ٤ على ٥ يونيو (حزيران) ـ كما يقول العسكريون ـ وحتى الآن لم يقدم التفسير المعقول ولا المقنع للمواطن العربي عن طبيعة الأوضاع التي تسمح بتنظيم مثل هذا الحفل الساهر في قاعدة جوية لبلد في حالة الطوارىء القصوى ، ومعناها عسكرياً أن ثلث الطيارين يجب أن يكون في الجو .. والثلث الثاني على مقاعد الطائرات في حالة

تأهب للاقلاع والثلث الأخير في ميس الضباط بالقاعدة !.

حفلة ساهرة نظمت الى الفجر ... هذه هي الحقيقة ولأن أحداً لم يفسر ولا شرح ، فقد بادرت المخـــابرات الاسرائيلية بالتفسير .. فزعم الكتاب ان الحفل كان باقتراح من الجاسوس اليهودي وانه أذهل قادته الذين لم يتصوروا ابداً انه يمكنه اقناع المسؤولين في القيادة المصرية بقبول مثل هذا الاقتراح .. ولكنه استطاع اقناع صديقه « صدقي محمود » بل ونظم حفلاً ساهراً في جميع القواعد الجوية المصرية ... وحشد الراقصات والطيارين ... ونظم حفلة جنسية بين الفريقين دامت الى فجر اليوم الذي تحطمت فيـــه الطائرات ... بل وبات « صدقي محمود » في منزله (منزل الجاسوس) في احضان راقصة !..

اذا كانت هذه القصة غير معقولة ، فمن غير المعقول اكثر ، ان تهزم ثلاث دول عربية هزيمة كتلك التي وقعت يوم الخامس من يونيو دون ان يلقي القبض على شبكة جاسوسية او ان تُعلن السلطات وضع يدها على جاسوس من حجم يفسر تسرب اسرارنا .. ويطمئن الى مستقبل هذه الاسرار .

ولا شك ان الطبقة الجديدة من العسكريين عندما كانت تسافر الى اوروبا لعقد صفقـــات السلاح ، كانت تسمح لنفسها بترف لا تستحقه ، ولا يتفق وطبيعة حرب البقاء أو الفناء التي تخوضها بلادنا .. وكانت المخابرات الاسرائيلية بل وكل مخابرات العالم تدرك ضعف رجالنا أمام الجنس .. فزرعت طريقهـــم بالشقراوات ، وبفعل الغرور العربي الأصيـــل .. كان ضباطنا يتحدثون عن تهافت شقراوات اوروبا عليهم ، ويرجعون ذلك الى سمرتهم الفاتنة ، ورجولتهم المتدفقـة .. وبحث شقراوات اوروبا عن النبع الشرقي من السكس – ابيل .. ولا شك أن بعض هؤلاء الضباط قد تذكر ولو بعد فوات الأوان ، أن هذا الالتهاب الذي اشتعل بجسد فتاته وعبرت عنه بتوترها المستمر وتقلبها في جميع الأوضـــاع ، عرف اخـــيراً انه لم يكن للحصول على أكبر متعة ممكنة من رجولته السخية، بل للحصول على أكبر عدد ممكن من « البوزات » لطلعته البهية في الوضع الذي سيستغل ضده وضد وطنه مستقبلاً .

ومأساة الفرد العربي ، أن مجتمعه يغفر له كل شيء الا الجنس

وانه كفرد مكبوت دائماً ، قد يقاوم كل اغراء .. الا الجنس..
ومن هنا كان سلاح مخابرات العدو المفضل هو الجنس...وبالنسبة للصهيونية بالذات فان الجنس هو لعبتها المفضلة منذ ان عرض ابراهام - وحا شالله ان يكون ابراهيم - زوجته سارة على فرعون منكراً انها اخته منعاً للأحراج !... الى ان تمكنت استير من كسرى الفرس وأقنعته بالتدخل لإعادة اليهود الى فلسطين..
واذا كان كتاب « داود الصغير » للأطفال اليهود فهذا الكتاب للمراهقين ولذلك فإن أحد أهداف الكتاب هو اغراء المراهقين اليهود بالعمل في المخابرات الاسرائيلية ، فهو يتحدث عن عالم الجنس الذي عاشه المؤلف .. ففي أول لقاء مع (فيشل) الطويل رئيس المخابرات الاسرائيلية الذي استدعاه بعد ان اعتزل العمل ليكلفه بانتحال شخصية (آرام أنوير) .. قدمت لهما الشراب امرأة « وبدأت تضع أواني الشراب ، واقتربت بالعجلة الى الطاولة ، بينما كانت هي نفسها محشورة بين العربة وبيني ، وكأنها تعطيني الفرصة لأحس بثنايا جسدها من تحت الفستان . وكانت تستغل لحظة تقديمها الشراب لي لتلقي بجسدها اللدن على كتفي . ولم اشأ ان أحرّك كتفي من تحتها ، وانما نظرت الى فيشل ، تاركاً الفتاة تداعب ظهري قليلاً » .

وفور قبوله العمل نزل في فنـدق في حيفا منتحلاً شخصية التركي الذي قتلته المخابرات الاسرائيلية ، وقتلت أمه في تركيا لكي لا يمكنها كشف الحقيقة اذا ما حاول أحد ان يتحرى عن اليهودي المتقمص لشخصية ابنها ... وفي الفندق التقى بسائحة اميركية « وكانت ليلة بلا حدود وبلا نهاية ، لا حدود، للوقت ولا نهاية للعمل، رغبتها الشديدة وشهوتها الجامحة لم تعرفا الشبع وجوعها الصارخ لم يُعرف الخجل... تمسكت بشهوتها كمايتمسك الغريق بالقشة وسمحت لنفسي ان تغرق في بحر شهواتهـا وملذاتها » .

وفي انقره كانت كل بناتها طوع أمره !

« كانت الاموال تسيل في يدي كنهر النيل الذي لا نهـاية لمياهه ، وكل فتاة مشهورة في انقره ، فتاة تحترم نفسها ، رأت من واجبها ان تساهم في تبذير اموالي » .

والسوبرمان اليهودي يصل الى المعلومات بكل الطرق امـا بالمال أو بتفوقه الساحر في الفراش « ومـا لا يمر من تحت يدي يمر عبر فراشي . وكل مـا لا استطيع ان احصل عليـه من العلماء الألمـان أنفسهم ، كنت احصل عليـه في فراشي من

سكرتيراتهم » .

كنت مشهوراً ومعروفـــاً (في مصر) وليست من امرأة تستطيـع مقاومتي ورفض مطلبي » .

« كل سيدة وكل فتاة في مصر ترى انه شرف عظيم لها ان تمضي ليلة واحدة في فراشي » ...

واذا كانت هذه العبارات لاغراء المراهقين اليهود، وللتشهير بالشعب المصري ، فمن الغريب ان تنشر بالعربيـة وتروج بـلا تعليق ... والحقد على الشعب العربي عموماً وعلى الشعب المصري بصفة خاصة تفوح رائحته من الكتاب كله ...

« لن نترك فتاة واحدة في جميـع القاهرة تزعم انها لم تنل ما تريد وتشتهي » ! ...

« حفلة كبرى مع الشراب والراقصات ، ونجـوم السينما وطالبات الجامعات في احضان الطيارين السكارى » .

حتى (صوفي ياسين) التي ارسلها زكريا محي الدين للتجسس عليه خضعت لسطوته الجنسية الجبارة ... وربما كان المؤلـف

يعاني عجزاً جنسياً هو سبب هذه المبالغة ، ولكن المخطط الاعلامي الاسرائيلي يعتمد على ترويج هذه الصورة لاغواء العملاء ...

وايضاً فإن التركيز على الجنس والالحاح على مغامرات الجاسوس في عالم المرأة ، انما يهدف لزرع هذه الفكرة في العقلية العربية التي تعمل في المخابرات ، ليدفع البعض أو ليبرر بعض العاملين في المخابرات العربية انحلالهم الجنسي بأن ذلك ضروري لرجل المخابرات ، بشهادة الجاسوس (الناجح) الاسرائيلي . بينما تؤكد الحقائق المعروفة ، والنجاحات المتحققة ، ان سلوك المخابرتي الاسرائيلي ابعد ما يكون عن هذا التهتك . وما عرف عن (ايللي كوهين) يعطي صورة معاكسة تماماً فقد كان ينظم في بيته حفلات داعرة ، ولكنه لم يمس امرأة غير زوجته ولم يشرب خمراً قط !

مفاهيم فاشية

ولأن الكتاب موجه في أحد أهدافه ، للشباب اليهودي ، فهو حافل بالفكر النازي ، ويعكس الصورة المنحطة للدور الحضاري الذي يمكن ان تقيمه اسرائيل في المنطقة ... واذا كانت النظرة الى المرأة هي ترمومتر التقدم الحضاري ... فان نظرة « باروخ نادل » أو « آرام أنوير » أو « رفاعي » — كما كان اسمه في اسرائيل — الى المرأة أبشع من نظرة النازيين القدامى : « أمام القوة تطأطىء رأسها أعز امرأة » « كنت أحب غادة ولكن كما يحب النجار منشاره ، وكما يحب الفلاح محراثه » ...

« أن أفضل شيء للمرأة هو أن تحمل وتخلّف الأطفال » .

« شهوة المرأة في أن تكون مداساً تحت الرجل الذي

انتصر عليها » .

والمخابرات الاسرائيلية إذ تستهدف تربية قتلة تحتاج إلى إلهاب تعصبهم العنصري وإثارة غرائزهم ، فلا بد من تشويه صورة الخصم بالكذب المفضوح أساساً .. وليس بالكذب الرفيع ... لأن تحريك الغرائز يحتاج لمثير بدائي فقط ...

ولذلك فالعرب لا قضية لهم وكل ما يثير حماسهم من أجل القتال هو الرغبة في الاستيلاء والتمتع « ببنات الكلب اليهوديات » ...

والمصريون يدبرون هيروشيما ثانية لاسرائيل« صواريخ موجهة في رؤوسها كميات قليلة من الكوبالت ومادة السترونيوم ٩٠ وقبل ان يستطيع الجيش الاسرائيلي من الوصول (لاحظ ركاكة الترجمة) الى قاعدة الصواريخ نكون قد دمرنا اسرائيل كلها ». ولا يفوته ان يعلق بأنه تذكر وقتها « الطفلة المحروقة في هيروشيما » ... الخ .

« والبابا كيرلوس يخطب مطالباً باستخلاص فلسطين من

الذين صلبوا المسيح ... » ... اما ما يقال في المساجد فــلا يمكن وصفه (!) ... والجماهــير تصرخ في الشارع « الموت لليهود » .

والجماهير العربية لأول مرة من تاريخهـــا التعيس تريـد الحرب » .

« وقوات صغيرة تصل من امارات البترول علامة اشتراكها في الجهـاد » ومعروف ان الكويت وحدها هي التي بعثت بقوات من امارات البترول . وان الجهاد مصطلح لم يكن مستخدمـاً في تعبئة ١٩٦٧ .

والاولاد في اسرائيل يلقنون ان « عبد الناصر يريـــد ان يقتل جميع الاولاد ويأخذ جميع الامهات » .

السوبرمان اليهودي

ولكن السوبرمان اليهودي قادر على مواجهة هؤلاء المتعصبين . وكقصص الاطفال المصورة ، تتناثر في الكتاب نماذج من حب الاسرائيلي لوطنه ، ووحدة اليهود في مواجهة الخطر « كان البلد الصغير (اسرائيل) محاطاً بسور من الفولاذ يضيق عليه اكثر فأكثر حتى اولئك الذين ليست لهم دراية بالامور العسكرية أحسوا بأن السور الفولاذي يضيق اكثر فأكثر.. ولكن ظل الرجال يصلون الى هذا البلد الى داخل المصيدة، كانوا يصلون بالطائرات . كانوا في الخارج عند ابواب السفارات والقنصليات يتدافعون في طوابير طويلة للحصول على اذونات السفر الى البلد الصغير ... رجل له خمسة اولاد ، ظل سنوات عديدة يتهرب من الخدمة العسكرية سلم نفسه للشرطة العسكرية وطلب الالتحاق فوراً بالجبهة...وفي أحد معسكرات الاعتقال

انصرف الحراس الى الجبهة، بعد ان تعهد السجناء بعدم الفرار، ومع ذلك فرّ منهم اثنان وخلفا وراءهما بطاقة صغيرة كتب عليها : ذهبنا للتجنيد . سنعود الى السجن بعد انتهاء القتال » .

« ان ضغط السور الفولاذي . وحّد الاطراف المشتتة » .

« وانا اكملت واجبي تجاه بلادي (اسرائيل) وقطعت يد الجلاد مثلما أردت ، ومثلما أراد فيشل بل وأكثر . نعم لقد كشفت عورة مصر ، ومصر الآن تماماً مثل الراقصة سهير زكي تستلقي عارية ، وبعد قليل سينزل بها الدمار » .

والجاسوس اليهودي المزروع في غزة نظم كل شيء قبل احتلالها فقد كانت لديه كشوفات كاملة باسماء الذين تسلموا بنادق للمقاومة الشعبية .

وهذه النقطة تحتاج الى توضيح ، فقصة « باروخ نادل » تعتمد على واقعة غريبة فعلا ، وهي اشتراط المقاومة الشعبية في مصر (وغزة طبعاً) ... تحرير المتطوع لاستمارة من أصل وصورتين تشمل كافة المعلومات عنه . وبعض المناطق كانت

تشترط تقديم أكثر من صورة فوتوغرافية للمتطوع ! ولا شك ان هذه الاستمارات كانت تحفظ في المكاتب الرسمية ويمكن أن تكون قد وقعت في يـد اليهود بعد الاحتـــلال ومؤكد أنهم استفادوا منها ... وهذا خطأ ينبثق من عقلية النظام ...

هذه هي الحقيقة ... أما الأسطورة فتبنى عليها وتزعم أن ضابطاً كبيراً بل المشرف العام على جيش التحرير الفلسطيني في غزة لم يكن إلا جاسوساً يهوديـــاً مزروعاً في غزة ومتزوجاً من عربية مسلمة دون أن تدري شيئاً عن حقيقته واقـــترح « جيمس بوند غزة » فكرة الاستمارات ثم جمعها واحتفظ بها وفور الاحتلال كشف عن حقيقته وجمع السلاح من المتطوعين واعتقلهم !

وقد حققت الثورة الفلسطينية في هذه الواقعة عندما نشر كتاب « تحطمت الطائرات » لأول مرة ، وثبت أنه لا توجـد مثل هـذه الشخصية ... والحقيقة الكبرى التي تكذب تفاخر المخابرات الاسرائيلية هي مقاومة غزة التي بدأت فور الاحتلال وتتصاعد كل يوم ... رغم الاستمارات ورغم جمع البنـــادق واعتقال المتطوعين !

من يحكم الشرق الأوسط ؟

هذا السوبرمان اليهودي ، لم يعد يبحث عن مجرد مأوى أو وطن قومي يأويه من الاضطهاد ، لا ... انه يتطلع اليوم لحكم الشرق الأوسط ..« يائيل دايان » تكتب في « يوميات جندي » عن سماء الشرق الأوسط التي أصبحت ملكاً لنا ... وتشير الى سيناء والجولان والضفة الغربية وتقول « كل هذا ملكنا » ..

نفس النغمة نسمعها في كتاب « تحطمت الطائرات » ... فسلاح الطيران هو « سلاح المستقبل الذي سيقرر من سيحكم الشرق الأوسط مثلما قال فيشل الطويل » (مدير مخابرات اسرائيل الذي اختار الجاسوس للقيام بهذه المهمة في مصر)...

اسرائيل تخطط لحكم الشرق الأوسط ، وهي تعلن ذلك صراحة اليوم بعدما انتهت مرحلة اليهودي التائه الذي يبحث عن مأوى ... وبدأت مرحلة الامبراطورية ..

فالجاسوس يحدث نفسه وهو في القاهرة – كما يزعم – :

« طالما أنا موجود هنا ليس لي مستقبـــل ، ولكن بنفس الوقت ليس للجيش المصري أي احتمال ولا لسلاح الجو في أن يقررا مصير الشرق الأوسط » .

وعندما يتفقد السد العالي تتحرك في العميـل الاسرائيلي أو المؤلف شهية الامبرياليين فيتحسر على فرص استغـــلال مصر الضائعة من الاسرائيليـين : « لو كان الرئيس عبـد الناصر قد انصرف الى إنشاء السد العـــالي فقط ولم ينصرف الى شراء القاذفات النفاثة ، لكانت بـلاده قد انتعشت وازدهرت وكان بوسع المهندسين الاسرائيليـين أن يقيموا هناك (في مصر) الصناعات الخفيفة والثقيلة » .

وهذا هو الاغـراء الذي تقدمه الصهيونية للتكنوقراطيين اليهود لتغريهم بالهجرة الى فلسطين ، والقتال لاستعمار الوطن العربي .. هـذه هي الصورة : اسرائيل تحكم الشرق الاوسط ، وهم فنيـوه ... ونحن فلاحوه وهنوده الحمر ...

دخوله مصر

والكتاب يركّز على تحميل مدكور أبو العز مسؤولية دخوله مصر واستقراره وتمكنه من سلاح الطيران ، فعندما انتحل شخصية التركي وسافر الى باريس واشتغل بتجارة السلاح تعرف بمدكور ابو العز الذي كان يتسوق السلاح وبالذات قطع الغيار لمصر ، وخلال الصفقات الناجحة والخمر والنساء توطدت صداقته به ، ولما طردته السلطات الفرنسية على أثر تبليغ موعز به من المخابرات الاسرائيلية بأنه يورد السلاح للجزائريين عرض عليه مدكور ابو العز الاقامة في مصر ... وهذه نقطة غير مفهومة ، فأهميته لمصر كانت في صفقات السلاح .. فما هي الحاجة الى اقامته فيها ... فاذا سمح له بالاقامة في مصر فلماذا تترك له هذه الفرص للتغلغل داخل جميع المواقع الحساسة والممنوعة في قواتنا المسلحة ؟...

مؤكد اننا قبل الخامس من حزيران ــ ونأمل الا يكون

بعدها – كنا نفتقد لابسط معاني السرية وكان كمساري الاتوبيس في مصر يصرخ : « محطة المطار السري ... مـــين نازل ؟!». بينما يقول كتاب « عين تل ابيب » « ان المخاطر التي تصيبك أقل بالتأكيد اذا ما راودت المجند الاسرائيلي عن عرضه ، منها اذا ما سألته عن الوحدة التي ينتمي اليها » ..٠

نعم كنا نفتقر لأبسط مفاهيم الكتمان ، كذلك كان انحلال وفسوق مراكز القوى يتيح الفرصة لأي جاسوس ذكي يستخدم الخمر والنساء لكي يتغلغل في هذه الأوساط المنحلة ، المنشغلة بذاتها وشهواتها عن مراقبة مصالح الوطن . ولكن ذلك لا يبرر أبداً المزاعم التي يقولها هذا الجاسوس .

ويفسر الكتاب المكانة التي تمتـع بها الجاسوس بنجاحه في استغلال تناقضات مراكز القوى فقد كان زكريا محي الدين يكره صدقي محمود ، فأختـــاره ليتجسس على سلاح الطيران وخوله سلطة التفتيش عليه !.. وهكذا قام « التركي » المدني بالتفتيش على جميـع قواعد الطيران في مصر . ولكن الفصل الذي يروي فيه هذه الواقعة به خطأ.

فعندما كلفه زكريا بهذه المهمة كان رده : « لن أخيب ظنك يا رئيس الحكومة » وكان ذلك يوم الخميس ٢٥ مايو ١٩٦٧ ... ولم يكـن زكريا محي الدين في هـــذا التاريـخ رئيسـاً للحكومة !

لا بد من مواجهة

ان المخطط الاسرائيلي الذي يريد ان يقنع العربي بأن عين تل ابيب في كل مكان ، بحاجة الى مواجهة ، بحاجة الى سياسة إعلامية تقنع المواطن العربي انه لا صفات اسطورية لخصمه الصهيوني .. وان ذلك الخصم يستفيد من أخطاء العربي أكثر مما يستفيد من مواهب الصهيوني .. وأن التفوق الصهيوني ليس أسلوب عمل ..

مثلا حكاية المخابرات الاسرائيلية التي تعلم كل شيء .. والتي أدهش رجالها الأسرى ، من الضباط المصريين بسؤالهم عن أقاربهم بأسمائهم .. تبين أنها ليست أكثر من عملية تجميع عادية من صفحة الوفيات بجريدة الاهرام .. فكل ضابط يرد اسمه في نعي قريب له بالاهرام يجمع ويعطي للعقول الاليكترونية التي تضم كل معلومات جديدة عن أسماء هؤلاء الأقارب . وعندما يقع الضابط العربي في الأسر يقرأ ضابط المخابرات الاسرائيلي

ملفه قبل مقابلته ، وبلهجة من يعرف كل شيء يسأل « كيف حال أخوك حسن ؟.. خالك ابراهيم مدير شركة كذا .. هل نجح ابنه في البكالوريا .. » ويذهل الضابط الأسـير بينما لو استرجع معلوماته لوجد أن كل هذه المعلومات قد نشرت في نعي عمته « نفيسة » التي توفيت من سنتين ، والتي تباهت العائلة بنشر أطول نعي في الاهرام ضم كل من ينتمي للعائلة بصلة !.

أما إلحاح الاعلام الاسرائيلي الآن على الإيهام بوجود يهود متنكرين في شخصيات عربية ، بل ولهم زوجات عربيات لا يعلمن شيئاً عن حقيقـة هذا الزوج الصهيوني .. فهي تهدف الى غرضين :

- الأول هو نشر الذعر والشك في المحيط العربي ...

- والثاني هو تغطية ذيول عملية « ايللي كوهـين » ...

فالمخابرات الاسرائيلية رغم كل ادعاءاتها مازالت تعـاني آثار أضخم ضربة أصابت مخططها في البلدان العربية وهي اكتشاف ايللي كوهين – ولو مصادفة – فهـذا الاكتشاف نبّه ، أو المفروض أن ينبّه ، العين العربية الى هذا النـوع من التسلـل الصهيوني .. وبدأت جهات عديدة تعيد النظر في بعض الاسماء، وتخضع بعض التصرفات للتحليل ... وفي مواجهة هذا التنبـه

تلجأ المخابرات الصهيونية الى حيلة معروفة وهي تعميم الاتهام الى درجة تفقده جديته ... فعندما يتحول الشك الى مرض ، يفقد الشك الواعي أهميتـه ... لذلك يحرص كتاب « تحطمت الطائرات » على الزعم بوجود « ايللي كوهين » في كل مكان ... وبهذه الوسيلة يفقد العربي اهتمامه بالبحث عن كوهين الحقيقي..

والى جانب هذا المخطط العام، فإن مثل هذه الكتاب يدس سمومه في كل صفحة ، فمن دس على الأكراد بالزعم ان الجاسوس كان يهرب السلاح للثوار الأكراد ، الى الوقيعة بين الفلسطينيين والمصريين بالثنـــاء على الفلسطينيــين بأنهم أمهـر وأصلب من المصريين ... الى التساؤل بلهجة استنكارية : ما للجيش المصري وفلسطين ؟!... الى السخرية من رجال الصاعقة مع انهـــم هم الذين أوقفوا الأعصار الاسرائيلي في رأس العـش فقط عندمـا تغيرت قيادتهم ... الى إثارة الارمن بالحديث عن مذابح الاتراك واغتصابهم للأرمنيات .. مع أن مخابرات اسرائيل هي التي ذبحت الأرمنية وابنها !

ملاحظة وأمـــل

أما الملاحظة فحول الجهة التي أصدرت الكتاب في اسرائيل إذ يبدو أنه حتى في المخابرات الاسرائيلية توجد مراكز قوى.. وان المؤلف هو من الجماعة المعارضة لعملية لافون (المتفجرات التي وضعت في المكاتب الاميركية بالقاهرة عـام ١٩٥٤) ... ومن ثم فانتقاداته لبعض قيادات وتصرفات المخابرات الاسرائيلية هي في هذا الإطار ... مع التأكيد أن الكتاب هو جزء من نشاط المخابرات الاسرائيلية وليس خارجـــه كما تهمس بعض المصادر سواء عن مجرد رغبة في تبرير نشرها للكتاب أو مجرد ترديد لما تروّجه المخابرات الاسرائيلية ذاتها وبأســـلوب ببغائي !

أما الرجـاء فهو للمسؤولـين عن الاعـلام في مصر فالمواطـن العـربي من حقـه أن يعرف هل كان هناك تاجر سلاح تركي غادر مصر يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ ... وما

هي حقيقة الدور الذي لعبه ... وما هي التحقيقات التي تمت في موضوعه ... وإذا كان الأمر كله بجرد أكذوبة اسرائيلية فإن نفياً مصرياً مقنعاً مطلوب لتسليح الجماهير العربيـــة في مقاومتها للنابالم الفكري الذي تستخدمه الدعاية الاسرائيلية .

وبعد ،

فهذه السطور كتبناها يوم كانت جماعة « علي صبري » تسيطر على مقاليد الأمور ، في اجهزة الأمن كما في أجهزة الاعلام ...

وبالطبع لم نكن ننتظر من مثل هذه الجماعة ، ان تبادر الى الاستفادة من الملاحظات التي قدمناها ، ولا توقعنا أن تكلف نفسها عناء الرد على الاتهامات التي وردت بالكتاب فقد كانت في شغل عن ذلك ... هذا اذا ما احسنا الظن وقلنا بالغفلة وحدها !

والحقيقة ان أهم ما كان يشغلني عندما كتبت نقداً لكتاب « تحطمت الطائرات » هو التنبيه لخطورة مثل هذه الافكار التي تروجها هذه الكتب ، وضرورة أن نفتح أعيننا جيداً في هذه الفترة التي تتآمر فيها الصهيونية بكافة أجهزتها ، أو قل بكافة أجهزة الحضارة الاستعمارية ، الموضوعية تحت تصرفها ، بهدف إزالة الوجود العربي .

اسرائيل تدرك ، ان العامل الحاسم ، في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، هو إرادة القتال .. فالعرب اقوى من الناحية النظرية على نحو يجعل هزيمتهم أعجوبة ولغزاً، بل أشبه بأساطير السحرة والجان ...

والسبب هو أن إرادة القتال عند الاسرائيليين أقـوى منها عند العرب ـ بأوضاع الطرفين الحالية ـ

ولا شك ان هذه الكتب تهدف الى استمرار الوضع الحالي ، بتحطيم إرادة القتال عند العرب .

ومن العبث أن نتصور مجتمعاً محارباً يخلو من جاسوس للعدو.. أبداً لسنا من السذاجة الى حد المطالبة بذلك ، ولكننا نطلب مجتمعاً لديه من إرادة القتال ، ما يمكنه من تطويق الجاسوس . مجتمعاً لديه من القيم والتقاليد ما يمكنه من اكتشاف الجاسوس أو الحد من اضراره .

لقد كان أحد المديرين في المخابرات البريطانيـــة جاسوساً للسوفييت ، ومع ذلك لم يتمكن من الاضرار ببريطانيـــا ولا واحد في المائة مما استطاعـــه تاجر موبيليـات لا يشغل أي منصب رسمي ، ذلك هو «ايللي كوهين» أو « كمال أمين ثابت »

كما كان يسمى نفسه . هـــذا التاجر الذي لا صفة له ، كانت تعقد في بيتـــه أخطر الاجتماعات السرية ، وتناقش معه قضايا قلب نظام الحكم ، وكان أول من يعرف بالتعديلات الوزارية ، بل وقام بتفتيش الجبهة في سيارة عسكرية وبرفقة ابن أخ عبد الكريم زهر الدين رئيس أركان حرب الجيش !

ابن شقيق رئيس الاركان يصطحب « تاجر موبيليـــات » ويطوف به الجبهة في سوريا .. وتاجر خيول في مصر ، يقبض عليه يتفحص المواقع العسكرية فيفرج عنه بتدخل من اتباع المشير المنتحر .. ومقـابل وعـد بصندوق شمبانيا ، على مـا يدعى الجاسوس !

فالجاسوس مهما تكن مهاراته ، يحتاج الى مناخ خاص لكي ينجح في إنزال ضربات حاسمة ، يحتاج الى مجتمع متفسخ لكي يستطيع ان ينفذ فيه .

ولا شك ان الخمر والنساء لا يمكن أن تكونا أسلحة مثمرة في مجتمع قيادته متدينة .

كما أن المال لا يُجدى في مجتمع يحاسب قياداتـه ويسألها من « أين لك هذا ؟ »

وأهم من ذلك كله ، هو إرادة القتـال .. ففي مجتمع يعيش حقيقة الصراع المصيري ضد عدو قومي متربص عند حدوده ،

يصبح كل مواطن جهاز أمن .. وتصبح كل قراراته وسلوكه في خدمة المعركة المنتظرة .

ولا شك اننا بعد ثورة مايو ١٩٧١ .. قد بدأنا خطوة على الطريق نحو امتلاك إرادة القتال .

لذا فنحن نطمع هذه المرة أن يفتح التحقيق في ما يقال عن تغلغل الجاسوسية الاسرائيلية قبل هزيمة ١٩٦٧ ..
نطمع في أن يصدر الاعلام الجديد لمصر بياناً واضحاً عن حقيقة المزاعم الاسرائيلية حول وجود هذا التاجر ..

صـدر للمؤلف

	الثمن
إيللي كوهين .. من جديد	٢٠٠ ق ل
الثورة الفلسطينية ـ محاولة للفهم	٥٠٠ ق ل
القومية والغزو الفكري	٦٠٠ ق ل
النكسة والغزو الفكري	٥٠٠ ق ل
طريق المسلمين الى الثورة الصناعية	١٥٠ ق ل

يصدر قريباً

... ودخلت الخيلُ الأزهر ...